بلاغة الالتفات من الخطاب إلى المتكلم في القرآن الكريم
*Ilṭifāt as a Source of Eloquence in the Qurān for Changing
 Narration from Second to First Person*

Mr. Sulṭanat Khān

Ph.D Research Scholar, Islāmīa College University, Peshāwar, Pākistān

Mr. Niāz Bādshah al-Ḥaqqānī

Ph.D Research Scholar, Islāmīa College University, Peshāwar, Pākistān

Abstract:

The holy Qur'ān is an eloquent speech of Allah Al-Mighty delivered in the most expressive and unambiguous Arabic language. The Islamic Scholars ever since its introduction have been working sincerely on the Arabic Language and this love with Arabic language emanated from their attachment to the creator, so the holy Qur'ān has always been the focus of attention and epicenter of many rhetorical discusses like Ilṭifat, while means interpreting some thing from one perspective and change it to another perspective i.e from first person to second or third person and vice versa. Some of the scholars denied the existence of "Ilṭifat" from second person to first person in the holy Qur'ān. Twenty-four examples of the mentioned type of "Ilṭifat" were given from the holy Qur'ān proving the fact that this kind of "Ilṭifāt" is used in the Holy Qur'ān in certain places and in this way the research proves that the holy Qur'ān is the most eloquent book of Almighty Allah using different rhetorical discourses like Ilṭifāt.

Keywords: Ilṭifāt, Qur'ān, Sukkāḳī, Eloquent, Rhetoric, Balaghāt

ملخص البحث:

لما رأينا إنكار بعض العلماء البارزين عن وجود الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم، و أنه لا مثال لهذا القسم للالتفات في كلام الله حيث مثلوا له من كلام العرب، فشمّرنا لاستخراج هذا القسم للالتفات في القرآن المجيد. ففي هذا البحث سعينا التعرض لتصريحات تلك العلماء، ثم بيّنا معنى الالتفات لغة و اصطلاحا كما تعرضنا إلى أقسام الالتفات المشهورة، وأخيرا ذكرنا أمثلة الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد، فأثبتنا أن هذا النوع من الالتفات يوجد في كلام الله تعالى وجودا معتدًا به و أن القرآن الكريم بليغ من هذا الوجه أيضا. وهذا هو المقصود.

مواقف العلماء على عدم وجود الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد:

١. أنكر ظاهرالدين صاحب "بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم" (بحث الدكتوراة من جامعة بشاور(قسم اللغة العربية)، سنة ١٩٩٣ء الموافق ١٤١١هـ) عن وجود الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم، وأحال على الدكتور محمد سالم محيسن بأنه لا يوجد له شاهد في القرآن الكريم ، وهذا نصه:

" السادس: الالتفات من الخطاب إلى التكلم. وهذا القسم كما صرح به الدكتور: محمد سالم محيسن في كتابه بأنه لا يوجد شاهد لهذا النوع من القرآن الكريم ، ومثل له من الشعر .. فقط"^١.

٢. وأما عبد الله عبد الرؤف في كتابه " الالتفات وأسراره البلاغية في القرآن الكريم " (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد باكستان، سنة ٢٠٠٣/٢٠٠٢ء الموافق ١٤٢٣/١٤٢٤هـ) فإنه اكتفى على ذكر "الالتفات من المخاطب إلى المتكلم" على ذكر ثلاث آيات فقط ، فكتابه أيضا ليس بجامع لمسائل العدول من هذا الوجه.

٣. قال السيوطي^٢:

"ما وجدت مثاله من الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم"^٣. وقال في الإتيان: " ومثاله لم يقع في القرآن الكريم من الخطاب إلى التكلم، وذكر بعضهم مثالا له بقوله تعالى: (فاقض ما أنت قاض) سورة طه آية : ٧٢، ثم قوله : (إنا آمنا بربنا) طه : ٧٣، وهذا المثال لوجود الالتفات في القرآن الكريم لا يصحّ ، لأن شرطه أن يكون المراد به واحدا."^٤

فهذا رأي السيوطي ومن تبعه ، فأنكروا عن وجود الالتفات عن الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم.

وقال صاحب "الالتفات وأسراره البلاغية في القرآن الكريم:

"هذا رأي السيوطي، وغيره استقرأ القرآن و تبعه فأخرج بعض الالتفاتات الواردة في القرآن الكريم بهذه الصورة وإن كانت قليلة."^٥

والحال إنّ "الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد" له شواهد كثيرة في القرآن الكريم. فالحاصل إنّ هاتين المقاتلتين وإن كانتا على مسائل الالتفات بين الغيبة والتكلم، وبين الغيبة والخطاب على قدر معتدّ به مثل كتاب الإمام السيوطي، لكن ذلك الجانب من بلاغة الالتفات أعني "الالتفات من الخطاب إلى التكلم في آيات القرآن الكريم" تُركت يتيمة لم يُلتفت إليها التفاتاً كما هو حقها، وصارت محتاجة للبحث والتحقيق، كالمسئلة الباكرا التي لم يتندر إليها أحد.

معنى الالتفات لغة:

"الالتفات لغة مأخوذ من لفت يلفت لفتاً، بمعنى صرف الشيء، سواء كان هذا الشيء حسياً أو غير حسى، ومن معنى اللفت لغة: الليّ أيضاً أي ليّ الشيء عن الطريق المستقيم، كما ورد في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: "إن الله يغيض البليغ من الرجال الذي يلفت الكلام كما تلفت البقرة الخلي^٦ بلسانها".^٧ وفي قول الله تعالى: (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُكَ)^٨ أي لا يصرف منكم أحد وجهه إلى ما يتزل من العذاب لهم. وهذا المعنى اللغوي قد روعي في المعنى الاصطلاحي.

التعريف الاصطلاحي للالتفات عند البلغاء:

هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، وهي (الغيبة، والخطاب، والتكلم) بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاثة بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر وبتربيته السامع^٩. هذا هو المشهور عند الجمهور من أهل البلاغة والفصاحة؛ لأن هناك مذاهب أخرى في تعريف الالتفات كما ذكرها الفاضل الجليلي^{١٠} في حواشي المطول للإمام سعد الدين التفتازاني^{١١}، و نقلها صاحب التحرير في حواشي مختصر المعاني^{١٢} حيث قال:

إن في الالتفات على أربعة مذاهب:

المذهب الأول:

الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم، الخطاب، الغيبة) و يشترط فيه سبق التعبير بطريق آخر كما يشترط فيه أن يكون المخاطب في التعبيرين واحداً، ولكن لا يشترط فيه أن يكون التعبيران في كلام واحد، بل أعم من أن يكونا في كلام واحد أو في كلامين أو أكثر. هذا هو مذهب صدر الأفاضل.^{١٣}

المذهب الثاني:

الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (الغيبة، الخطاب، والتكلم) و يشترط فيه سبق التعبير بطريق آخر كما يشترط فيه أن يكون المخاطب في التعبيرين واحداً ومع ذلك يشترط فيه أن يكون التعبيران في كلام واحد. وهذا هو مذهب بعض أهل العلم من علماء البلاغة.

المذهب الثالث:

الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (الغيبة، الخطاب، والتكلم) و يشترط فيه سبق التعبير، بأن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر وبتربيته السامع بطريق آخر، ولا يشترط فيه أن يكون التعبيران في كلام واحد كما لا يشترط فيه كون المخاطب في التعبيرين واحداً، وهذا هو مذهب الجمهور.

المذهب الرابع:

الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم، الخطاب، الغيبة) ولا يشترط فيه سبق التعبير بطريق آخر، كما لا يشترط فيه أن يكون التعبيران في كلام واحد، ولا كون المخاطب في التعبيرين واحداً، وأيضاً لا يشترط اختصاصه بالمسند إليه، وإن كان عدم اختصاصه به على مذهب الجمهور أيضاً، فيكون الإطلاق مأخوذاً من مجموع الأمرين على ما علم من أصحاب هذا المذهب والأمثلة التي ذكروها للالتفات. وهذا هو مذهب الزمخشري، والسكاكي^{١٤}، ومن تبعهما.^{١٥}

المذهبان الأولان لم يعبأ بهما أهل البلاغة، وذكروا عن المذهبين الأخيرين (مذهب الجمهور والمذهب للسكاكي ومن تبعه).

الفرق بين مذهب الجمهور والسكاكي:

الالتفات بتفسير الجمهور أحص من تعريف الالتفات بتفسير السكاكي، فإنه عند السكاكي أعم من --

(الف): أن يكون قد عُبر عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، ثم بطريق آخر كما هو عند الجمهور.

(ب): أو أن يكون مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بطريق من الطرق الثلاثة فترك وُعِدِل عنه إلى طريق آخر. كما في قول الشاعر^{١٦}:

إلهي عبدك العاصي أتاك مقرا بالذنوب وقد دعاك^{١٧}

فهذا التفات عند السكاكي، لأنه عبر فيه عن المعنى بما يخالف مقتضى الظاهر، لأن مقتضى الظاهر فيه أن يعبر بضمير المتكلم، لأن المقام له، فيقول: إلهي أنا العاصي أتاك. فالتعبير بالاسم الظاهر هنا مخالف لما يقتضيه ظاهر المقام. وهذا لا يعتبر التفاتاً عند الجمهور، لعدم وجود تعبير سابق كما هو شرط عندهم. فيتحقق الالتفات عند السكاكي بتعبير واحد، وعند الجمهور بتعبيرين. فالالتفات عند رأي الجمهور يكون التفات عند أبي بكر السكاكي، ولا يكون بالعكس.^{١٨}

أنواع الالتفات :

الأقسام المشهورة للالتفات ستة، لأن التعبيرات الثلاثة (التكلم و الخطاب و الغيبة) إذا ضربتها في الاثنين (الباقين من تلك الثلاثة) حصلت أقسام ستة. وهي:

١. من التكلم إلى الخطاب

٢. من الخطاب إلى التكلم

٣. من التكلم إلى الغيبة

٤. من الغيبة إلى التكلم

٥. من الخطاب إلى الغيبة

٦. من الغيبة إلى الخطاب

ذكروا أمثلة للالتفاتات كلها في القرآن المجيد، لكنهم إما أنكروا عن أي مثال للالتفاتات من الخطاب إلى التكلم في القرآن المجيد وإما قالوا إن الالتفات بهذه الصورة قليل في القرآن الكريم، أقول إن هذا الالتفات عن المخاطب إلى المتكلم له وجود في القرآن الكريم على قدر معتد به ، وفيما يلي سأسعى أن أذكره بعض الأمثلة على ذلك:

أمثلة الالتفات من الخطاب إلى التكلم في الآيات:

المثال الأول:

"قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا... " ١٩

ففي هذه الآية صناعة الالتفات من المخاطب إلى المتكلم ، لأن قوله: (ينجيكم) في مقام الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (لئن أنجنا من هذه لنكونن من الشكرين).

المثال الثاني:

"ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ... وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ " ٢٠

هذه الآيات أيضا تحتوي على أمثلة من بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم ،لأن قوله: (ذلكم الله ربكم ، فاعبدوه ، قد جاءكم بصائر من ربكم) كلها صيغ الجمع المخاطب تشمل جميع من خاطبهم القرآن الكريم، و أول المخاطبين للقرآن الكريم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب التكلم، فقال: (وما أنا عليكم بحفيظ). فالآية فيها التفات من المخاطب الجمع إلى المتكلم المفرد.

المثال الثالث:

"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ... ثم قال بعد آية: أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا... " ٢١

فإن في هاتين الآيتين صناعة الالتفات من المخاطب إلى المتكلم ، لأن قوله: (كذلك، ربك ، فذرهم) في مقام الخطاب ، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (أفغير الله أبتغي حكما) وفي هذا التفات و تلوين في الكلام ، وهذه من مميزات اللغة العربية.

المثال الرابع:

"وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا".^{٢٢}

فإن في هاتين الآيتين الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (قلتم، فاعدلوا، أوفوا، ذلكم، وصاكم، لعلمكم، تذكرون) كلها صيغ الخطاب، ثم عدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب التكلم، فقال: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي" مكان "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطُكُمْ صراطا مستقيما".

المثال الخامس:

"لَقَدْ أبلغتكم رسالاتِ رَبِّي ونصحتُ لكم فكيف أسئ على قوم كفري".^{٢٣}
ففي هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (أبلغتكم رسالاتِ رَبِّي ونصحتُ لكم) أسلوب الخطاب، وقوله: (فكيف أسئ على قوم كفري) أسلوب التكلم، قال صاحب روح المعاني: والفتت من الخطاب إلى التكلم.^{٢٤}

المثال السادس:

"يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ
ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ".^{٢٥}

في هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (أنشاكم، واستعمركم، واستغفروه، وتوبوا) أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (إن ربِّي قريب مجيب). والسر البلاغي هو الإنشاء بعظمة ذي الجلال ورحمته وإجابته لصالح عليه السلام. ولأن فيه دفع توهم انصراف هذه الصفات إلى آلهتهم فيما لو قيل! إن ربكم قريب مجيب.^{٢٦}

المثال السابع:

"وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ".^{٢٧}

يوجد في هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قول الله تعالى: (استغفروا، توبوا، ربكم) في مقام الخطاب، ثم عدل من أسلوب الخطاب إلى أسلوب التكلم، فقال: (إن ربِّي رحيم ودود)، لأن أصل الكلام: "ثم توبوا إليه، إن ربكم رحيم ودود". الالتفات في الآية جاء في أولها بأسلوب الخطاب وهو (واستغفروا ربكم)، ثم انتقل في آخرها لأسلوب التكلم، (إن ربِّي رحيم ودود)، وكان الظاهر أن يقول: (إن ربكم) والسر البلاغي هنا هو الإشارة إلى أن ربكم وربي واحد.^{٢٨}

المثال الثامن:

"مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ".^{٢٩}

فإن في هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (مثلكم، عليكم) أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين). ومقتضى الظاهر أن يورد الكلام هكذا: ما سمعتم بهذا في آبائكم الأولين، لكن عدل عن هذا لإنشاء التفنن في العبارة.

المثال التاسع:

"هَيَّاهُتْ هَيَّاهُتْ لِمَا تُوعَدُونَ، إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ ٣٠"

ففي هاتين الآيتين التفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (توعدون) في موضع الخطاب، فعدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (حياتنا، ونموت، ونحيا، وما نحن): لأن مقتضى الظاهر لهذا القول: إن هي إلا حياتكم الدنيا تموتون و تحيون وما أنتم بمبعوثين، لكن عدل عنه تفننا في الكلام.

المثال العاشر:

"ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً".^{٣١}
هذه الآية مشتملة على الالتفات من الخطاب إلى التكلم لأن في أولها أسلوب الخطاب و في آخرها أسلوب التكلم، قال صاحب الموسوعة القرآنية: في الآية انتقال من الخطاب إلى التكلم.^{٣٢}

المثال الحادي عشر:

"وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ... هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ".^{٣٣}

فإن في هذه الآيات بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (توكل، يرك، تقوم، تقلبك) في مقام الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (أنبئكم).

المثال الثاني عشر:

"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ آيَتَيْنِ : إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ...".^{٣٤}

هذه الآيات كلها في أسلوب الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم، لأن قوله: (إن ربك، فتوكل على الله، إنك لا تسمع الموتى، إن في ذلك، وترى الجبال تحسبها) كلها في مقام الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عدل عن الخطاب إلى التكلم فقال: (أمرت، وأعبد، وأمرت، وأكون).

المثال الثالث عشر:

"وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ".^{٣٥}

في هذه الآية بلاغة الالتفات من المخاطب إلى المتكلم، لأن قوله: (لاتقتلوه) خطاب إلى فرعون وإلى المؤكلين بقتل أطفال بني اسرائيل من قومه، ثم عدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب التكلم فقال: (أن ينفعنا أو نتخذ) والمراد من ضمير الجمع المتكلم هو فرعون وامراته القائلة وغيرهما، فالعبارة في الأصل: لا تقتلوه، عسى أن ينفعكم. والنكته في هذا الالتفات تحويل إرادتهم عن قتل موسى عليه السلام إلى حياته المفيدة لهم.

المثال الرابع عشر:

"وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَ آلِيمٍ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ثَلَاثِ آيَاتٍ: هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".^{٣٦}

إن في هاتين الآيتين التفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (فبشّره) في مقام الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (هذا خلق الله فأروني) تفننا في الكلام، وهذه شجاعة اللغة العربية.

المثال الخامس عشر:

"اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ - وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ".^{٣٧}

ففي هاتين الآيتين بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله "اتبعوا، لا يسئلكم" أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (وما لي لا أعبد الذي فطرني). والأصل أن يقول: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون.^{٣٨}

والسر البلاغي في هذا الالتفات أنه أبرز الكلام في معرض النصيحة، لهم فعدل عن الاستمرار بمخاطبتهم الى خطاب نفسه لان لا يصل إليه منهم المكروه و يداريهم، ولأنه أدخل في محاض النصيح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه و لذا عدل عن خطابهم وقال: وما لي.

المثال السادس عشر:

"وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ - أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ".^{٣٩}

وفي هذه الآية أيضا التفات عن الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (ترجعون) في مقام الخطاب، فعدل عنه إلى التكلم، فقال: (إن يردن الرحمن) ومقتضى الظاهر أن يورد الكلام هكذا: إن يردكم الرحمن.

المثال الثامن عشر:

"قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ... إِنَّا لَذَاتِقُونَ".^{٤٠}

أنظر إلى هذه الآيات فإن فيها بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله " تكونوا، عليكم، كنتم " في مقام أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: فحق علينا قول ربنا انا لذائقون.^{٤١}

المثال التاسع عشر:

"وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ".^{٤٢}

ففي هاتين الآيتين بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (امشوا، اصبروا، اهتكم) كلها صيغ الخطاب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) فإنه مكان هذا القول: ما سمعتم بهذا في الملة الآخرة، تفننا في الكلام.

المثال العشرون:

"يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا".^{٤٣}

أنظر إلى هذه الآية تجد بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (لكم) في موضع الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا). لأن الرجل المؤمن كان داخلا في هذا القوم، فيخاطبهم مرة، و يعبر عنهم بصيغة التكلم مرة أخرى. فالعبارة في الأصل هكذا: فمن ينصركم من بأس الله إن جاءكم.

المثال الحادي والعشرون:

"لَا جَرَمَ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ".^{٤٤}

ففي هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: تدعون " صيغة الخطاب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: وأن مردنا إلى الله. لأن الرجل المؤمن كان داخلا في هذا القوم، فيخاطبهم مرة، ويعبر عنهم بصيغة التكلم مرة أخرى، فكأنه يقول: "وأن مردكم إلى الله" فيعدم الإيمان صرتم مسرفين و مشركين واسمعوا أن المسرفين أصحاب النار.

المثال الثاني والعشرون:

"فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ".^{٤٥}

ففي هذه الآية صناعة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله: (ستذكرون) صيغة الجمع المخاطب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى التكلم، فقال: (و أفوض أمري إلى الله) لأن أصله هكذا: و أفوض أمركم إلى الله.

المثال الثالث والعشرون:

"وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ".^{٤٦}

هذه الآية أيضا تشتمل على أسلوب الالتفات من الخطاب إلى التكلم لأن قوله: (اختلفتم، و ذلكم) صيغ الخطاب، فهذا أسلوب الخطاب، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (رَبِّي عليه تَوَكَّلْتُ و إليه أُنِيبُ)، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول مخاطب للقرآن الكريم، فإن الله تعالى يقول لرسوله عليه السلام و لسائر الناس المكلفين: إن اختلفتم في شيء من الأشياء فردوا حكمه إلى الله و كتابه، لأن الله تعالى هو ربكم فعليه توكلوا، لأن إنابتكم و رجوعكم إليه.

المثال الرابع والعشرون:

"وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِيدُونَ. وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ... ثم قال بعد آيتين: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ".^{٤٧}

أنظر في هذه الآيات فإن فيها بلاغة الالتفات موجود، لأن قوله " قومك ، لك " كلاهما أسلوب الخطاب ، ثم عدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال : فلا تمترن بها و اتبعون. لأنه في الأصل؛ اتبعوني بىاء المتكلم التى حذفت تخفىفا. ومرجع ضمى الخطاب والمتكلم واحد ، وقد عبّر عنه أولا بالخطاب ثم بالمتكلم.

المثال الخامس والعشرون:

"فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا".^{٤٨}

في هذه الآية بلاغة الالتفات من الخطاب إلى التكلم، لأن قوله (فذوقوا) أسلوب الخطاب فعُدل عنه إلى أسلوب التكلم، فقال: (نزيد) قال الزمخشري و أبو السعود في تفسيريهما: (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب و تكذيبهم بالآيات، وهي آية في غاية الشدة ، وناهيك بلن نزيدكم، و بدلالته على أن ترك الزيادة كالحال الذى لا يدخل تحت الصحة، و بمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ. " ^{٤٩}

الهوامش:

^١ . ظاهر الدين، بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم، بحث الدكتوراة من جامعة بشاور، سنة ١٩٩٣م،

ص ٢٣. و د: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، الجزء الثاني، ص ٩٦، مطبعة الكليات الأزهرية بمصر

- ٣ . السيوطي، التخبير في علم التفسير، ص ٢٩٩ ، دار المنار، القاهرة، ١٣٠٦
- ٤ . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج ٣، ٢١٨ ، مؤسسة فؤاد بيروت، لبنان، ٢٠٠٢ء.
- ٥ . الالتفات و أسرارہ في القرآن الكريم ، المبحث الثالث، ص ٥٥
- ٦ . الخلي ؛ الرطب من النبات (محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: "القاموس المحيط"، فصل الحاء، ج ١، ١٢٥٣،
- ٧ . أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داؤد، ج ٢ ص ٣٢٧.
- ٨ . هود : ٨١
- ٩ . محمد عبد الرحمن القزويني، " تلخيص المفتاح " أحوال المسند إليه، ص ٢١، مكتبة رحمانية لاهور، و مسعود بن عمر التفتازاني: " مختصر المعاني " ص ١٢١، مكتبة رحمانية لاهور.
- ١٠ . حسن چلیبی بن محمد شاه شمس الدين (صاحب فصول البدائع) محمد بن حمزة الفناری، وُلد سنة ٨٤٠ هـ — ببلاد الروم ، و نشأ بها، ومات ببروسا في سلطنة بايزيد خان سنة ست وثمانين وثمانئة (الفوائد البهية في تراجم الحنفية"، ص ٢٣
- ١١ . التفتازاني، سعد الدين: (٧١٢ — ٧٩٣) هـ من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس. (الأعلام للزركلي ملخصا، ج ٧، ص ٢١٩)
- ١٢ . مختصر المعاني ص ١٢١، حاشية ٧
- ١٣ . مجد الدين، القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي، الملقب بصدر الأفاضل، عالم من فقهاء الحنفية، من أهل خوارزم. له كتب، منها " شرح المفصل للزنجشيري و "ضرام السقط" و "التوضيح" في شرح المقامات، و"بدائع الملح" و "الزوايا والخبايا" في النحو، و "السر" في الإعراب (الأعلام للزركلي، ج ٥، ص ١٧٥)
- ١٤ . أبو يعقوب السكاكي، صاحب " المفتاح " كان حنفيا، إماما كبيرا، عالما بارعا متبحرا في النحو والتصريف وعلم البيان والمعاني والعروض والشعر ، وضع علوم البلاغة في قالبها العلمي، مولده ووفاته بخوارزم، توفي سنة ٢٢٢هـ. (شذرات الذهب ج ٧، ص ٢١٥ بتصرف وإسقاط)
- ١٥ . مختصر المعاني" ص ١٢١، حاشية ٧
- ١٦ . القائل هو إبراهيم بن أدهم، كما هو مذكور على حاشية (٢) ص ٢٨٥ من مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن يعقوب دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ و

- على حاشية (٣) ص ٢٥٣ " شرح التلخيص لأكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابرقي، المتوفي ٤٨٢ هـ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ / ١٩٨٣ هـ
- ١٧ مختصر المعاني، ص ١٢٢، و المطول ص ١١٩
- ١٨ مختصر المعاني، ص ١٢٢
- ١٩ الأنعام: ٢٣
- ٢٠ أيضا، الآيات: ١٠٣-١٠٢
- ٢١ أيضا، الآيتين: ١١٢-١١٣
- ٢٢ أيضا، الآيتين: ١٥٢، ١٥٣
- ٢٣ الأعراف: ٩٣
- ٢٤ شهاب الدين الألوسي: روح المعاني ج ٥ ص ٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٩٩٤م
- ٢٥ هود: ١٢
- ٢٦ البيسوني، عبد الفتاح، "علم المعاني دراسة بلاغية نقدية"، ص ٢٧٦، مطبعة السعادة، ميدان ، أحمد ماهر، شارع الجداوى رقم: ١٠٢
- ٢٧ هود: ٩٠
- ٢٨ د. عبد الرحمن قحطان: أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة صنعاء الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم" ص ٩
- ٢٩ المؤمنون: ٢٣
- ٣٠ أيضا: ٣٧-٣٦
- ٣١ الفرقان: ٣٥
- ٣٢ إبراهيم بن اسماعيل الأيباري: الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ص ٣٨٨، مؤسسة السجل العرب ، ١٤٠٥ هـ
- ٣٣ الشعراء: ٢٢١-٢١٧
- ٣٤ النمل: ٨٨، ٩١
- ٣٥ القصص: ٩

- ٣٦ لقمان: ١١،٧
- ٣٧ يس: ٢٢،٢١
- ٣٨ القراءات وأثرها في العلوم البلاغية، ج٢، ص ٩٩
- ٣٩ يس: ٢٣،٢٢
- ٤٠ الصفات: ٣١،٣٠
- ٤١ تفسير الكشاف، ج٤، ص ٣٩
- ٤٢ ص: ٦-٤
- ٤٣ المؤمن: ٢٩
- ٤٤ أيضا: ٣٣
- ٤٥ أيضا: ٣٣
- ٤٦ الشورى: ١٠
- ٤٧ الزخرف: ٢١،٥٨
- ٤٨ النبا: ٣٠
- ٤٩ الزمخشري: الكشاف، ج٣، ص ٦٩٠ ، و أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ج٥، ص ٨١٧ ، والزمخشري هنا لا يحدّد لون الالتفات، لكننا نلمح هذا الالتفات من الخطاب إلى التكلم بكل يسر (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، العدد: ٢، ذوالقعدة: ١٣١٢هـ/أبريل ١٩٩٦م ص ٢٨١) أنظر القراءات وأثرها في العلوم البلاغية، ج٢، ص ٩٧ .